جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة الفارسية

تطور شعر المدائح الدينية
في الأدب الفارسي
حتى نهاية العصر الصفوي

رسالة لنيل درجة الدكتوراه
في اللغة الفارسية وآدابها

مقدمة من الطالب
فوزي عبد الواحد الزفزافي

بإشراف الأستاذ الدكتور
عبد النعيم محمد حسنين

سنة ١٩٨٩م

٨٩١ر٥٥
ع ٠٠
رسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

وإنك لعلى خلق عظيم

" صدق الله العظيم "

ـ محمد سيد الكونين والثقلين ∴ والفريقين من عرب ومن عجم

ـ فمبلغ العلم فيه أنه بشر ∴ وأنه خير خلق الله كلهم

ـ حاشاه أن يحرم الراجى مكارمه ∴ أو يرجع الجار منه غير محترم

(بردة البوصيرى)

فهرســـــت

رقم الصفحة

تقديـــــم ..... ١ : ٢٦

ـ هذه الدراسة ٢

ـ الدراسات السابقة فى موضوع المديح الدينى ٤

ـ تحديد المقصود بالمديح الدينى ٧

ـ أثر الاسلام على الشعر بعامة والمديح الدينى بخاصة .. ١٥

ـ الشعر فى خدمة الدين ، ونشأة المديح الدينى ... ٢٠

الباب الأول : المدائح الدينية حتى نهاية العصر الغزنوى ... ٢٧ : ٥٦

الفصل الأول : ـ التبرك والاستفتاح فى المنظومات الطويلة .. ٢٨ : ٤٦

ـ التيار الاسلامى ٢٩

ـ التيار القومى والعصبيات القومية ٣١

ـ الديانات والمذاهب القديمة ٣٤

ـ التيار الشيعى ٣٧

ـ نموذج للمديح الدينى فى المنظومات الطويلة ٣٩

الفصل الثانى : القصائد الخاصة بالمديح الدينى ..... ٤٧ : ٥٦

الباب الثانى : المدائح الدينية فى العصرين السلجوقى والمغولى ٥٧ : ١٣١

ـ حال العصر السياسية والفكرية ٥٨

ـ الزهد والتصوف ٦٧

الفصل الأول : اثر التصوف على أفكار المديح الدينى ..... ٨٢ : ١٢١

اولا : المديح المادى ٩٤

ثانيا : المديح المعنوى ٩٧

تابع الفهرست

رقم الصفحة

الفصل الثاني : أثر التصوف على اسلوب المديح الديني .. ١٢٢ : ١٣١

أولا : أثر التصوف على بناء المدائح الدينية واختيار الفن الشعرى ١٢٣

ثانيا : أثر التصوف على الالفاظ والتراكيب وصور البيان ١٢٧

الباب الثالث : المدائح الدينية حتى نهاية العصر الصفوى .... ١٣٢ : ١٧٨

الفصل الأول : أثر المذهب الشيعى على أفكار المديح الدينى ..... ١٣٣ : ١٦٤

- مسلك الحكام وأثره على تحويل المديح الدينى الى المذهبى ١٤١

- مسلك الشعراء فى التحول بالمديح الدينى الى الشعر المذهبى ١٤٨

الفصل الثاني : الاستفادة من المديح الدينى فى الأغراض التعليمية ..... ١٦٥ : ١٧٨

الباب الرابع : مقارنة بين شعر المديح الدينى فى العربية والفارسية ..... ١٧٩ : ٢٠٨

الفصل الأول : سمات مشتركة بين المدائح العربية والفارسية ١٨٠ : ١٩٢

الفصل الثاني : سمات خاصة لكل من المدائح العربية والفارسية ١٩٣ : ٢٠٨

اولا : فى المدائح العربية ١٩٤

ثانيا : فى المدائح الفارسية ٢٠٢

الخاتمة ٢٠٩

مراجع البحث ٢١٤

* * *

تقديم

(١) هـذه الدراسـة

تهدف هذه الدراسة — ونسأل الله التوفيق — إلى رصد حركة التطور التى واكبت سير المدائح الدينية فى الشعر الفارسى ، منذ دخول الاسلام إلى ايران وحتى نهاية حكم الأسرة الصفوية ، وهى فترة تزيد على أحد عشر قرنا من الزمان .

ولأنه من غير المعقول أن تتناول دراسة — كهذه — كل النماذج الشعرية طوال هذه الفترة الزمنية ، وتذكر كل الشعراء الذين نظموا فى هذا الفن ، فسوف أصرف الاهتمام إلى بيان علامات التجديد والتطور من خلال طرح نماذج توضح سماته فى كل فترة ، دون العناية بالكم المنظوم فى الموضوع بما يوضح تطور هذا الفن وبيان التجديد الحادث من ناحية الموضوع والأفكار وكذا من الناحية الأسلوبية .

وقد جاءت هذه الدراسة فى أبواب أربعة ، اهتم كل باب من الثلاثة الأول بواحدة من المراحل التى مر بها شعر المديح الدينى ، فاختص الباب الأول بفترة دخول الاسلام إلى ايران ، وماتبع ذلك من تيارات فكرية وأدبية نتيجة الصراعات بين التيار الاسلامى الجديد ، والميول القومية والعرقية الايرانية ، وذلك إبان حكم الطاهريين والصفاريين والسامانيين ، وهى الفترة التى لم تتضح فيها معالم الأدب الفارسى الاسلامى ، ونختم هذه المرحلة بالحديث عن شعر المديح الدينى فى فترة حكم الأسرة الغزنوية ، حيث اتضحت فيه معالم الأدب الفارسى المستقر ، وهى الفترة التى أمكننى فيها رصد أول صور المديح الدينى المكتمل .

أما الباب الثانى فقد انصرف الحديث فيه إلى بيان صورة المديح الدينى فى ظل سيادة مذهب التصوف خلال فترة حكم الأسرتين السلجوقية ،

والمغولية والتيمورية ، وكيف أثر مذهب التصوف على شعر المديح الدينى فى أفكاره وأسلوبه ، وما كان لهجمة المغول على العالم الاسلامى من أثر على الأفكار الدينية والأدبية .

ثم عرضت هذه الدراسة فى بابها الثالث لمرحلة هى الأخيرة فى شعر المديح الدينى فى الفارسية ، ونعنى بها مرحلة المديح الدينى فى ظل سيادة مذهب التشيع بداية من حكم الأسرة الصفوية التى جعلته مذهبا رسميا ، وأصبح حديث كل أديب وكل شاعر ينطلق من اعتناقه لهذا المذهب ، وهى المرحلة الثالثة التى تحول فيها شعر المديح الدينى إلى اللون المذهبى محورا المعانى الدينية والصوفية بصورة هى أقرب لفلسفة المذهب الشيعى الاثنى عشرى .

وقد أوردت بابا رابعا فى نهاية الدراسة ذكرت فيه ما كان من مظاهر التلاقى بين الأدبين العربى والفارسى فى شعر المديح الدينى وبينت الأثر العربى على الجانب الفارسى ، ووضحت ما كان لكل منهما من سمات أختص بها دون الآخر مما كان نتيجة لعوامل بيئية أو مذهبية .

(٢) الدراسات السابقة فى موضوع المديح الدينى

حتى زمان الدكتور زكى مبارك ، لم يشهد الأدب العربى دراسة متكاملة فى موضوع المديح الدينى ، وهو يقرر ذلك فى بدايات كتابه المدائح النبوية فى الأدب العربى ويقول مبينا سبب عدم الاهتمام بدراسته: (لم يعن أحد من القدماء أو المحدثين بتأريخ هذا الفن فى اللغة العربية ، لأن الذين أجادوه لم يكونوا — فى الأغلب — من فحول الشعراء ولأنه لم يطرد فى التاريخ ولم يكن فنا ظاهرا بين الفنون الشعرية كالرثاء ، والوصف ، والنسيب)(١).

والحقيقة أن الشعراء والأدباء قبل زمان الدكتور زكى مبارك اهتموا أكثر ما اهتموا بالنظم على منوال قصائد المديح الدينى الأولى كقصيدة كعب بن زهير "بانت سعاد" ، وقصائد حسان وغيرها ، أو تقديم شروح لتلك القصائد موضحين الإشارات التى وردت فيها عن صفات الرسول الخلقية والخلقية ، ومواقفه صلى الله عليه وسلم وما أثر عنه من قول أو فعل ، فهى من هذه الناحية — أى الشروح — تعتبر ذات قيمة أدبية وتاريخية واسلامية ولغوية .

غير أنه يعيبها كون كل منها قائما بذاته ، فلم ينظم أى من الأدباء هذه القصائد فى سلسلة تبين المراحل التى مر بها المديح الدينى أو النبوى عبر التاريخ الاسلامى ، وما انتابه من تأثيرات تاريخية أو لغوية أو أسلوبية . وهو ما قصد إليه الدكتور زكى مبارك ، وما كان محقا فيه ذلك أن كتابه المدائح النبوية يعتبر الكتاب الأول فى هذا الميدان ، والذى أعقبه دراسات أهتمت بدراسة المديح الدينى فى الأدب العربى ، بل ولم يفت الدكتور زكى مبارك أن يعرض — فى قسم من الكتاب — للمديح النبوى ماكان منه نثرا ، وابتدأ القول فى هذا بالحديث عن مدائح على بن أبى طالب لرسول الله صلى

---

(١) المدائح النبوية فى الأدب العربى — زكى مبارك — القاهرة بدون (دار الشعب) — ص ١٥ .

الله عليه وسلم ، مشيرا إلى أن المدائح النبوية التي وردت في خطب على لا يظهر فيها تكلف ، ثم أورد اشارات إلى ما أطرد من مدائح منبرية على مدى العصور الاسلامية . (١)

وهذا الكتاب الذي أصبح — فيما بعد — أساسا لدراسات في موضوع المديح الديني أو النبوي ، كان في الأصل بابا من كتاب عن (أثر التصوف في الأدب والأخلاق) ، وما من دراسة تلته في هذا الموضوع إلا وأخذت عنه بعض الأفكار فأيدتها أو خالفتها .

ومن الدراسات التي تناولت المديح الديني نثره وشعره كتاب الدكتور زكي المحاسني بعنوان (الأدب الديني) ، كما اهتمت دراسات أخرى بجانب الشعر دون النثر ككتاب الدكتور صلاح عيد بعنوان (شعر المدائح النبوية في الأدب العربي) وهو دراسة حصل بها على درجة الدكتوراة في الأدب العربي ، وله بعد ذلك كتيب صغير بعنوان (مديح الرسول بعد حياته من التكوين إلى النضج) اهتم فيه بتوضيح الموضوعات والأفكار التي عنى الشعراء بإبرازها في مديحهم للنبي ، وأهم التيارات الفكرية والسياسية التي مر بها المديح الديني ، وهي دراسة على صغرها قيمة .

ومن الدراسات في هذا الموضوع كذلك كتاب الدكتور النعمان القاضي بعنوان (شعر المديح النبوي في صدر الاسلام) وهو كما يدل عليه عنوانه يعنى بمرحلة تكوين شعر المديح الديني حتى بدايات العصر الأموي وبروز التيارات المذهبية . وهذه الكتب وأمثالها اهتمت بالمديح الديني أهتماما مباشرا .

---

(١) انظر — المدائح النبوية في الأدب العربي — ص٢٥ ومابعدها .
(٢) انظر — نفس المرجع — المقدمة — ص٧ .

على أن هناك دراسات تناولت الموضوع من جوانب أخرى ككتاب (المديح) للأستاذ سامي الدهان وكتاب (فن المديح) للأستاذ أحمد أبو حاقة ، ودراسات الدكتور شوقي ضيف في تاريخ الأدب العربي وخاصة ما ورد في قسم العصر الاسلامي ، وما ورد من دراسات وتقديمات على دواوين شعراء المديح الديني ككعب بن مالك وحسان بن ثابت والبوصيري والشريف الرضي ، ونذكر منها كامثلة كتاب الاستاذ سامي مكي العاني بعنوان (كعب بن مالك الأنصاري شاعر العقيدة الاسلامية) ، وكتاب الدكتور محمد طاهر درويش بعنوان (حسان بن ثابت) ، أضافة لكتب السير والتراجم كسيرة ابن هشام ، والوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي والأغاني وغيرها . فمثل هذه الكتب وإن كانت لا تهتم اهتماما مباشرا بالمديح الديني إلا أنها تعتبر مراجع ومصادر ذات صلة وثيقة بالموضوع في الأدب العربي .

وفيما يختص بدراسة المديح الديني في الآداب الشرقية الاسلامية ، فإن كتب ودراسات الدكتور حسين مجيب المصري في مجال اللغة والأدب التركي تعتبر الرائدة ونذكر منها كتابه (المولد الشريف) عن منظومة بنفس الاسم للشاعر التركي سليمان چلبي ، فقد قدم سيادته لكتابه بدراسة قيمة عن نشأة فن المديح الديني في الآداب الاسلامية العربي والفارسي والتركي وأبان نقاط الالتقاء والاختلاف فيها ، وكتابه بعنوان (في الأدب الاسلامي) حول حياة وانتاج الشاعر التركي القديم فضولي البغدادي ، وغيرها من الدراسات التي تناولت الموضوع من وجهات مختلفة وأوضحت الصلات بين الآداب الاسلامية .

وهذه الدراسات كانت أساسا اعتمد عليه باحث بقسم اللغة التركية في الحصول على درجة الدكتوراة في الأدب التركي بتقديم دراسة بعنوان (المدائح النبوية في الأدب التركي) هو الدكتور عبد المنصف مجدي بكر .

وفي مجال اللغة والأدب الفارسي نجد دراسات تناولت الموضوع وتطوره من وجهات مختلفة وفي عصور مختلفة ضمن كتب عن التصوف ، والمنظومات الدينية .

(٣) تحديد المقصود بالمديح الديني

درج الباحثون — في صدور دراساتهم — أن يوضحوا مقصدهم من الدراسة التي هم بصددها ، وربما غلب على تقديماتهم هذه طابع الايجاز وأن يكتفي الباحث منهم بعرض تلميحات لمحتوى دراسته ، تاركا للقارئ فرصة أن ينعم بما جاء فيها .

ولكنني أجدني هنا مدفوعا للإطالة — بعض الشيء — في التقديم لهذه الدراسة حول تطور شعر المدائح الدينية في الأدب الفارسي ، وذلك لأسباب أهمها أن هذه الدراسة هي الأولى في مجال اللغة والأدب الفارسي على أنها ليست الأولى في مجال الدراسات الشرقية الاسلامية ، أو الدراسات العربية ، وهو ماسبق ذكره تحت عنوان الدراسات السابقة في موضوع المديح الديني .

هذا بالاضافة إلى أنني قد وجدت — ضمن قراءتي السابقة حول الموضوع — وجدت اختلافات جوهرية لدى من تناولوا موضوع المديح الديني .

ولعل أبرز الاختلافات هو ماذهب اليه بعض الباحثين من اعتبار الأشعار التي نظمها الشعراء في الذات الإلهية ، من قبيل المديح الديني ومن هؤلاء الباحثين الأستاذ سامي الدهان ، فقد عقد الفصل الرابع من كتابه "المديح" لبيان أقسام المديح الديني وجعله من قسمين الأول (الله عز وجل) والثاني (المدح النبوي) . وقد عرض في القسم الأول للتعريف بتلك الأشعار وساق ثمانية أبيات لحسان بن ثابت وأبي العتاهية فيما لا يزيد عن صفحتين ونصف ، بينما عرض للمدح النبوي في مايزيد عن أربع عشرة صفحة . وكان ماعرف به هذا اللون من الشعر قوله : (خلق الله الوجود فأحسن خلقه ، وأنعم على البشر فأجزل نعمه ، لذلك قامت الأديان كلها بشكره و حمده ، وبيان

أياديه ونعمه .... ولذلك سار الشعراء منذ القديم على تقديسه فرأوا فى الطبيعة سر جماله وفى تكوين الدنيا جمال عظمته ، وبهذا كثر المديح وتنوع فكان حينا مديحا سطحيا ، وحينا مديحا عميقا ، وأصبح فى كثير من الأحيان مديحا صوفيا ، فاتخذ لونا آخر من ألوان الأدب)(١).

وفى شرحه لما أورد من أبيات لأبى العتاهية وحسان يقول : (فأنت ترى أنه اتخذ الألفاظ التى يرددها المؤمنون فى صلواتهم وفى عباداتهم فاستعمل المديح دعاء لله خالقه ، يشهد بفضله ما عاش ، وليس سواه من خالق) ويقول : (..... فهو يرى (الشاعر) عظمة الإله فى كل شىء مما يلمح وينظر وهو يحمده ويعبده)، كما يذكر فى موضع آخر أن هذا الشعر (قد تطور حتى أصبح أقرب إلى النسيب، حين ينشد المتصوفة فى حب الإله ويرمزون إليه بالحبيب ، ويغنون فى عشقه والتقرب منه ، فيجدون فيه نورا وأصلا وسببا ويدخلون الفلسفة والعقل والتصور فى شعرهم ، فيخرج ذلك من حدود المديح الخالص إلى فن التصوف ... تجد فيه الهيام بحب الله والاستغاثات والأدعية وغيرها ، مما تجده فى كتب المتصوفة ودواوينهم كابن الفارض وابن عربى والحلاج وفى شطحات هؤلاء العلماء)(٢).

ومايتضح من هذه التعريفات التى أوردها الأستاذ سامى الدهان هو أن هذه الأشعار — على ما هى عليه من مكانة — لاتعدو أن تكون ابتهالات أو استغاثات ، وأشعار حمد وشكر للمولى عز وجل على نعمه فى خلقه ، ولا يمكن أن تدخل ضمن المديح الدينى ، وحتى أشعار الصوفية وشطحاتهم — كما سماها — لاتدخل ضمن المديح الدينى وإنما هى صور للعشق الإلهى الذى

---

(١) المديح — سامى الدهان — القاهرة (دار المعارف) — ١٩٦٨م ص٦٩.

(٢) نفس المرجع — ص٦٩ ، ومابعدها .

ساد الأدب الاسلامى فى حقبة من تاريخه ، ومجال كل منهما دراسات غير المديح الدينى .

ونود أن نضيف هنا أن المديح — كما تعارف عليه الأدباء والباحثون — لا يكون إلا لإنسان عاقل ذى روح ، وهو ما يجعل ذات الممدوح فى متناول حاسة الشاعر الإنسان ، وبعبارة أخرى أن يكون الممدوح مُدْرَكا بحواس مادحه . حتى يمكنه تحرى الدقة فى مدحه بالكرم أو الشجاعة أو القوة البدنية ، أو جمال الخلقة أو الطول ، وما إلى ذلك من صفات الممدوح التى تدركها الحواس البشرية ، وهو ما ذهب إليه الاستاذ سامى الدهان نفسه فى مقدمة كتابه حيث يقول : (وقد كان هم المداحين فى أكثر مدائحهم للرؤساء والحكام أن يجسموا الصفات الطيبة والمزايا الرفيعة والأخلاق السامية ، أو يخترعوها ويلصقوها بالممدوحين ليربحوا فى حلبة المديح ، وليرفعوا لواء الممدوح بين الناس ، فلعلهم فى هذا كالصحافة الحزبية لعصرنا ، ترى الخير كل الخير عند زعمائها ورؤسائها وقادتها ، أو لعلهم كالرسامين المصورين يستطيعون أن يظهروا أجمل ما فى الوجوه وأحسن ما فى المشاهد ... وأنه (أى المدح) يعنى بوصف الرجال وامتداح مزاياهم والتحبب إليهم ، والتقرب إلى مقامهم بأحسن أسلوب وأبرع صورة). (١)

فالشاعر المداح إذن يمدح الرجال والرؤساء ، وهو كالصحافى أو الرسام أو المصور ، يستخدم حواسه البشرية ويمدح بما تدركه هذه الحواس.

والقرآن الكريم يقطع بأن الذات الإلهية فوق قدرة الحواس البشرية فى آيات كثيرة منها قوله عز وجل : (ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير) (٢)

---

(١) سامى الدهان — المديح — ص٦٠
(٢) الشورى — الآية ١١ .

وقوله عز من قائل : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)(١).

كما أن رسول الله وهو الذى لا ينطق عن الهوى ، والبشر الوحيد الذى رقى السموات السبع ولاقى ربه ،وخبر منه وعنه مالم يخبر بشر ، قال : مخاطبا ربه :(سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) . فليس لشاعر بعد ذلك كله أن يقول شعرا يمدح به ذات الله التى جلت وعزت وتنزهت عن كل وصف بشرى .

يقول خسرو الدهلوى المتوفى سنة ٧٢٥ هـ :

— يامن بك صلاح أمر كل شخص ، ويامن انت وحدك قاضى حاجات الجميع .
— ان معرفتك بالعقل تماثل تماما ، أن يزن شخص الجبل ،بجناح ذبابة .
— (ومحاولتى) معرفتك تشابه ، محاولة أبله حبس الريح فى قفص .
— فالعقل مخبول ، واللسان أخرس ، فى بيان صفات كمال وجودك .
— هيهات أن أصل إليك ، وقد وقف بينى وبينك سد فولاذى ،من هوى وهوس (٢).

واذا كنا نرى غير مايراه الاستاذ سامى الدهان فى شأن هذه الأشعار فإننا نتفق معه فيما ذهب إليه من أن مدائح آل البيت تعتبر من قبيل المديح السياسى ، فقد أتبع الفصل الخاص بالمديح الدينى بفصل خامس بعنوان (المديح الدينى السياسى)وكتب تحت العنوان مبينا ذلك (مدح آل البيت) (٣).

---

(١) الأنعام — الآية ١٠٣ .
(٢) — اى زتو كار سازى همه كس ∴ همه را هم تو كارى سازى وبس
— هست عرفان تو بعقل چنانك ∴ كوه سنجد كسى بپر مگس
— از من ادراك تو بدان ماند ∴ كابلهى كرده باد را بقفس
— در صفات كمال هستى تو ∴ عقل مستست وناطقه اخرس
— كى رسم در تو من كه در پيشت ∴ سد آهن شد از هوا وهوس
ديوان خسرو دهلوى — باهتمام م . درويش — نشر جاويدان — طبع طهران — ١٣٤٣ش - ص ٣٤٥ .
(٣) انظر المديح — ص ٨٤ ومابعدها .